﴿ كان ياما كان ﴾

٥

ثم انصرفت السيارة واضعة طول العمر في صندوقها * فمرت بالببغاء في طريقها * فقالت له هل انت في جوع * فقال نعم وانه لجوع ديقوع دهقوع * وكان في يدها نموزج بضاعتها * فنفحته به لساعتها * فحسبه طعاما * فالتهمه التهاما * ومن ذلك الحين * صار الببغاء يعيش ثلاثمائة سنين *

وفي أثر ذلك جاءت السيارة الخامسة لتبيع الشرف والفخر * والكمال ورفعة القدر * فسألها الناس عن الثمن * فقالت هو خدمة الوطن * والقيام بالاعمال المهمة * التي ترتقي بها الامة * او دفاع العدو عن البلاد * وتخليصها من ذل الاستبداد او الاستعباد * او اكتشاف حقيقة علمية * او اختراع آلة صناعية * فقالوا لها ان الشرف والكمال * يشترى عندنا بالمال * لانه اما رتبة او وسام * او منصب من مناصب الحكام * ولا يتوقف شيء من ذلك * على سلوك تلك المسالك * التي تعود بالاسعاد * على الامة والبلاد * فقالت السيارة ماسمي الوسام بهذا الاسم * الا لانه علامة ووسم * على اعمال عظيمة * يقوم بها اصحاب العزيمة * ولو كان الشرف في التحلي بالمعادن والجواهر * او التزين باللبوس الفاخر * لكانت الغنيات من ربات الحجال * افضل واشرف من عظماء الرجال * كالفلاسفة الحكماء * والعلماء والصلحاء * ولتمنى لبعض الاغنياء المترفين * ان يكون اعلى شرفا من الملوك الفاتحين * بل ومن النبيين والمرسلين * وأما الالقاب الشريفة * التي يتهافت عليها ارباب العقول السخيفة * كصاحب السماحة والسيادة * أو صاحب الدولة او السعادة * فهي كلام اذا لم يطابق الواقع * بان يكون اصحابها ينابيع

المصالح والمنافع * فهي على كونها عرضا يتلاشى في الهواء * جديرة بان تدل على السخرية والاستهزاء * كوصف النذل الجبان * بأوصاف الشجعان * وكاطلاق القاب اكابر العلماء * على سفلة الجهلاء * فقالوا لها ان الشرف والمجد * ماقوبل صاحبه بالتعظيم والحمد * ولا يشترط عندنا ان يطابق مدحه الواقع * ولا ان يكون مظهراً للمنافع * فخير للمرء ان يؤذي فيكرم ويهان * من ان ينفع فيؤذى ويهان * فقالت اما وقد فسدت هكذا الطباع * وتغيرت كما ذكرتم الاوضاع * فقد بطل الدليل والمدلول * وظهرت العلة والمعلول * وتبين انه لم يبق من شرف لهذه الوسامات * ولا لأكسية التشريفات * بل ربما دلت على خسة ذويها * وسخافة رأي الراغبين فيها * وارى من الفضيلة التنائي عنها * وتطهير صندوقي منها * ثم ألقتها وتخلت * واذنت لربها وولت * فتهافت لالتقاطها الاشرار * تهافت الفراش على النار * فكان الشرف بهذه الاشياء * من نصيب هؤلاء * وما اصاب بعض الكرام * من رتبة اووسام * فانما كان بالمصادفة والاتفاق * لالكونه من اهل الاستحقاق *

﴿ استنهاض همم ﴾

(١٤)

ان ماذكرنا من حركة خواطر المسلمين وتاجي ارواحهم في اصلاح شؤونهم لابد ان يعقبه انصلات عزائمهم وتحفز هممهم للوثوب فيندفعون وراء الاعمال اندفاع السيل المنهمر . تتحاور علماؤهم في شأن العلوم الاسلامية الدينية واللغوية وتنقيحها وميز كل علم عن آخر ووضع تآليف جديدة سهلة المأخذ خالية عن الركاكة والتعقيد في كل فن مرتبة على حسب مقدرة الطالب وتبش ما الاسلافنا من الآثار والتآليف النفيسة التي أودع فيها طرائق السلف الصالح واعمالهم واخلاقهم وآدابهم ومشاربهم ونشرها بين